

نکوپن خلمه

شعر



صهیب محمد خیر یوسف

شعر

تكوين حلم

صهيب محمد خير يوسف

[كُتِبَ جزءٌ صغير من هذه المجموعة في دمشق
ومعظمها كُتِبَ في مدينة الرياض
وصدرت مطبوعة سنة ٢٠٠٩م
أُعِدَّتْ هذه النشرة الرقمية في إسطنبول، سنة ٢٠٢٥م
وهي تضم قصائد الإصدار المطبوع، باستثناء قصيدتين
© الحقوق محفوظة للمؤلف]

بين القناديل

- مَرَّ يُوْدِّي إِلَى الْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ -

رَأَيْتُ دِمَشْقَ الْقَدِيمَةَ تَجْتَرِحُ الْعَابِرِينَ،
تُضِيءُ أَصَابِعَهَا،
وَتُضِيءُ الْقَمَرَ

وَرَأَيْتُ التَّرَاتِيلَ تَخْضَرُّ غُصْنًا فَغُصْنًا
لِتَبْقَى دِمَشْقُ مُضْمَخَةً بِجَلَالِ السُّورِ

ورأيتُ المآذِنَ تتكئُ الياسمينَ،
تُلَوِّحُ بالسُّنْدِيَانِ إِلَى بَرْدَى،
وتُرَدِّدُ بَيْنَ القَنَادِيلِ تكبيرَها
في مَهَبِّ السَّفَرِ

.. بَيْنَ تِلْكَ المآذِنِ كُنْتُ أُفْتِّشُ عَنْ وَطَنِ
وَأُؤَلِّفُ وَعْدَ المَطَرِ...

صَحْوَةُ حُلْمٍ

يُحَاوِلُ أَنْ يَتَكَوَّنَ؛ فَاللَّيْلُ مَا زَالَ مُلْتَصِقًا بِالسَّمَاءِ:

أَنَا صُورَةُ الْحُلْمِ فِي الْأَرْضِ
حَيًّا سَأَخْرُجُ مِنْ جُثَّتِي
وَأَسِيرُ قُرُونًا تُخَادِعُنِي بِالْجِهَاتِ

.. خُذِينِي لِأَبْعَدَ مِنْ جُثَّتِي يَا جِهَاتُ:

إِلَى وَاقِعِي الْمُشْتَهَى
أَوْ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى.

(لَتَتَوَحَّدَ فِي صَحْوَةِ الْحُلْمِ كُنْ جَامِحًا وَأَنِقًا كَحُلْمِكَ
وَاتَّبِعْ حَنِينَكَ حِينَ يُنَادِي الْغِيَابَ
.. وفكّر:

أَيَكْفِي السُّقُوطُ الْأَخِيرُ لِأَطْوَيَ مِنْ أَجَلِهِ كُلَّ
حُلْمِي؟!).

الَّذِي..

جَمْرَةٌ فِي يَدِهِ
وَعَلَى وَجْهِهِ أَثَرٌ
لِفَتَى كَانَ فِي أَحَدِهِ

يَتَّبِعُهُ..
فِي لِيَالِي الْحَنِينِ..
فَيَرْفَعُ أَحْزَانَهُ
جَمْرَةٌ جَمْرَةٌ.. بِيَدِهِ

الَّذِي يُتَقَنُ الْمَشْيَ فَوْقَ الصَّرَاطِ
إِلَى مَسْجِدِهِ

وَالَّذِي كُلَّمَا انْطَفَأَ اللَّيْلُ
أَشْعَلَ نَجْمًا جَدِيدًا عَلَى بَلَدِهِ

وَتَوَضَّأَ بِالنُّورِ،
بِالْأَزْرِقِ الْمُتَلَأَلِيِّ فِي أَبَدِهِ

أَتَبَتَّلُ مِثْلَ الَّذِي..
فَأَمُدُّ لِقَلْبِي سَجَادَةً حُرَّةً
تَطْمَئِنُّ إِلَى مَدَدِهِ:

مَنْ أَنَا؟

يَا إِلَهِي، أَنَا سَالِكٌ..

عَادَ يَحْمِلُ ذُلَّ الذُّنُوبِ إِلَى سَيِّدِهِ

وَأَنَا - أَيْهَا الْقَابِضُونَ عَلَى الْجَمْرِ وَالْقَابِضُونَ عَلَى

الْفَجْرِ -

أَشْتَقُّ مِنْ ضَوْئِكُمْ وَتَدًّا

وَأَشُدُّ الزَّمَانَ الْبَدِيلَ إِلَى وَتَدِهِ

وَالَّذِي.. مَنْ يَشُدُّ الْقَدِيمَ الْحَمِيمَ إِلَيْنَا

وَيُبْصِرُ أَيَّامَنَا بِغَدِهِ.

عندما لا يعودون

كَانَ يَتْرُكُ فِي دَفْتَرِ الذِّكْرِيَّاتِ الْأَنْيَقِ سُطُورًا مِنْ
الْحُبِّ وَالْأُمْنِيَّاتِ الْقَدِيمَةِ..

يَكْتُبُ عَنْ سَبْعَةِ الْأَصْدِقَاءِ، يُحَاوِرُ أَسْمَاءَهُمْ،
يَتَسَلَّلُ مِنْ لَحَظَاتِ الْوَدَاعِ إِلَى لَحَظَاتِ اللَّقَاءِ..
يَعُدُّ الْقُرَى وَالْمَمَرَّاتِ:

كَانَ هُنَا مَعَ صَاحِبِهِ، وَهُنَا سَارَ وَحْدَ النَّشِيدِ
وَعَادَ حَزِينًا.

لِذِكْرَاهُ وَجْهَانِ؛ فَالَهُمْ لَا يَعْرِفُ الذِّكْرِيَّاتِ السَّعِيدَةَ
دَوْمًا..

هنا:

مَرَضٌ صَامِتٌ، بَيْتٌ شِعْرٍ تَقَاسَمَ سَطْرًا وَهَامِشٌ
نَقْدٌ،

غِيَابُ صَدِيقٍ عَنِ الْأَرْضِ، خَرْبُشَةٌ دُونَ مَعْنَى،
عِتَابٌ بِحَبْرِ رَشِيقٍ، خَوَاطِرٌ تَتَنَظَّرُ الْقَارِئِينَ،
انْفِعَالٌ..

وَأَشْيَاءٌ يَتْرُكُهَا تَعَبًا، وَيَعُودُ إِلَى غَيْرِهَا فِي الْمَسَاءِ.
عِنْدَمَا لَا يَعُودُ الشَّهِيدُ إِلَيْنَا سَنَكْتُبُ عَنْهُ كَثِيرًا،
وَنَتْرُكُهُ لِنَعُودَ إِلَى غَيْرِهِ فِي الْمَسَاءِ:

«رِيحُهُمْ لَا تَنَامُ، سَنَحْرُسُ لَيْلَتَنَا..

لَا نَرَى وَنُرَى،

وَيَرَاهُمْ وَلَكِنَّهُ لَا يُرَى».

قَالَ وَهُوَ يُثَبِّتُ أَقْدَامَ خِيَمَتِهِ قُرْبَ مَدْفَنِهِ.

وَعَدَا كَانَ فِي حَتْفِهِ كَالصَّبَاحِ..

الْجَنَازَةُ مُنْعَطَفٌ،

وَهُوَ الْآنَ يَسْكُنُ فِي الْغَيْبِ..

كَانَتْ عَلَى قَبْرِهِ وَرْدَةٌ مِنْ تُرَابٍ وَمِسْكٍ وَدَمٍّ.

عِنْدَمَا لَا يَعُودُ الشَّهِيدُ إِلَيْنَا سَنَكْتُبُ عَنْهُ قَلِيلًا،

وَنَتْرُكُهُ لِنَعُودَ إِلَى غَيْرِهِ فِي الْمَسَاءِ:

دَثَّرَتْهُ الثُّلُوجُ، وَمَدَّ الْجَلِيدُ عَلَى وَجْهِهِ لَوْنَهُ

- كَفَنُ الْبُؤْسَاءِ الْجَلِيدُ -

لِمَاذَا سَيُسْفَرُ آذَارُ عَنْ مَوْتِهِمْ؟

مَنْ يُفَسِّرُ نِسْيَانَهُمْ لِلرَّبِّيعِ؟

- تَسَاءَلَ هَذَا الشِّتَاءُ، وَوَلَّى..

وَلَمْ تَبْتَسِمَ حِينَ جَاءَ الرَّبِّيعُ وَجُوهُ الْقَمَرِ -

عندمَا لَا يَعُودُ الشَّهِيدُ إِلَيْنَا سَنَكْتُبُ عَنْهُ أَقْلَ،

وَنَتْرُكُهُ لِنَعُودَ إِلَى غَيْرِهِ فِي الْمَسَاءِ:

الشَّهِيدُ التِّقَاءُ التُّرَابِ مَعَ الْأَبْيَضِ الْأَبَدِيِّ..

الشَّهِيدُ الْخُلُودُ: يُسَافِرُ بَيْنَ الْفَرَادِيسِ مَا شَاءَ

.. بَعْدَ نَهَايَةِ تِلْكَ الْحَيَاةِ أَلَيْسَ جَمِيلًا إِذَا عَاشَ كُلُّ

الْحَيَاةِ؟

يُضْحَكُ اللَّهُ لِلشُّهَدَاءِ..

سَلَامٌ عَلَى الشُّهَدَاءِ بِمَا صَبَرُوا، وَبِمَا رَابَطُوا فَوْقَ

أَفْرَاسِهِمْ،

وَبِمَا عَفَّرُوا مِنْ جِبَاهٍ

عِنْدَمَا لَا يَعُودُ الشَّهِيدُ إِلَيْنَا سَنَكْتُبُ عَنْهُ..

وَقَدْ لَا نَعُودُ إِلَى غَيْرِهِ بَعْدَهَا؛

لِنَعُودَ إِلَيْنَا الْحَيَاهُ؟

فِي الطَّرِيقِ إِلَيْهِ

١ /

سَيِّدُ أَخْضَرِ الْوَمَضِ، يَنْتَظِرُ النَّخْلُ إِشْرَاقَهُ
.. فِي الْمَدِينَةِ طَقَسٌ مِنَ الدَّمْعِ وَالشَّمْعِ:
«كَيْفَ سِيَأْتِي؟»

٢ / انْتَظَارُ الْمَدِينَةِ:

مِنْ تَعَالِيْمِهَا:
الْمَوَاسِمُ قَادِمَةٌ؛
وَالْمُهَاجِرُ يَسْكُنُ مِنْطَقَةَ الْإِنْتِظَارِ.

٣ / قُرَيْش - دار الندوة:

رَتَّبُوا مَوْتَهُ جَيِّدًا:

«سَوْفَ نُطْفِئُهُ قَبْلَ أَنْ يَتَسَرَّبَ نُورُ الْهُدَى»

.. وَهُنَاكَ حُضُورٌ لْجَبْرِيلَ

يَسْتَكْمِلُ الْمَشْهَدَ النَّبَوِيَّ / الْغَدَا.

يَا.. غَدَا

يَا أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيْهِ، سَيَمْضِي

وَيَأْتِي غَدًا..

سَيِّدًا.

٤ / النبي ﷺ والصدّيق:

يَمْشِيَانِ لِمُسْتَقْبَلٍ مُّبْهِمٍ

وَاثْقَيْنِ بِدِينِهِمَا

.. كُلُّ شَيْءٍ يَدُلُّ عَلَى الْمَوْتِ حَوْلَهُمَا:

جُثَّةُ اللَّيْلِ، صَمْتُ الذُّنَابِ، التُّرَابُ،

الْغِيَابُ؛ غِيَابُ الْكَلَامِ، غِيَابُ الْقُرَى

.. وَعُيُونٌ مِنَ الذِّكْرِ كَانَتْ تُحِيطُهُمَا،

وَجُنُودٌ مُبَارَكَةٌ لَا تُرَى

يَمْشِيَانِ..

وَتَعْلُو الْخُطَى حَجَرًا حَجَرًا.

٥ / ﴿إِذْهُمَا فِي الْغَارِ﴾:

- كَانَ لَا بُدَّ مِنْ قَلْقٍ أُخْرَوِيٍّ
لَكَي يَبْلُغَا سِدْرَةَ الْمُتَهَيِّ، وَيَصِيرَا أَجَلَّ -
.. رِجَالٍ بِلَا هَدَفٍ،
وَسُيُوفٍ مُزَخْرَفَةٍ بِيَدِ الْوَثَنِ الْجَاهِلِيِّ،
مَزِيحٍ مِنَ الصَّبْرِ وَالْإِبْتِلَاءِ،
وَوَغَارٍ يُخَبِّئُ عَنْهُمْ غَرِييْنِ
- فِي الْغَارِ كَانَ نَبِيٌّ وَصَاحِبُهُ
يَرْفَعَانِ دُعَاءَ سُجُودِهِمَا،
يَلْمِسَانِ خُيُوطَ السَّكِينَةِ بَعْدَ الدُّعَاءِ -
.. لِيَقْتَرَبُوا الْآنَ كَالْهَمْسِ؛
ثَمَّةَ مُعْجَزَةٍ سَتُوجِّهُهُمْ بِتَفَاصِيلِهَا:
إِنَّهُ مَعَنَا.. فَاطْمَئِنَّ.

٦ / الغار والأنا - تداع فني:

كُلَّمَا غَيَّبَتْهُ السِّيَاقَاتُ فِي الْغَارِ يَذْكُرُهُمْ:

﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا..﴾

ثُمَّ يَسْمَعُهُمْ:

«أَيَّ آلِهَةٍ يَعْبُدُونَ!..»

سَنَأْوِي إِلَى الْكَهْفِ كِي يَنْشُرَ اللَّهُ رَحْمَتَهُ بَيْنَنَا»

ثُمَّ يَسْأَلُهُمْ:

«كَانَ كَهْفًا صَغِيرًا..»

بِمَاذَا ابْتَهَلْتُمْ لِيَتَّسِعَ الْكَوْنُ؟

مَاذَا فَعَلْتُمْ لَكِي تُصْبِحُوا آيَةً عَجَبًا؟!»

ثُمَّ يَسْمَعُهُمْ:

«أَيُّ لُطْفٍ خَفِيَ حَوَانَا!

بَحَثْنَا عَنِ الْأُنْسِ بِاللَّهِ حَتَّى وَجَدْنَاهُ فِي الْكَهْفِ

.. فَأَنْسُ بِرَبِّكَ فِي الْغَارِ وَحْدَكَ..

وَأَنْجُ بِدِينِكَ».

٧ / الدليل (عبدالله بن أريقط):

يُشْرِقُونَ..

وَتَبَقَى مَصَابِيحُهُ فِي يَدَيْهِ

تَوْضِئُ لِلرَّاحِلِينَ الطَّرِيقَ..

وَتَغْفُلُ عَنْ مَا وَرَاءَ الطَّرِيقِ،

وَكَيْفِيَّةَ الْكَوْنِ بَعْدَ الشُّرُوقِ!

٨ / شاعر الجنّ:

شاعِرُ الجنِّ يَحْتَارُ لَوْنَ الهَوَاءِ قِنَاعًا

وَيَظْهَرُ مُسْتَخْفِيًا

- رُبَّمَا سَارَ نَحْوَ المَدِينَةِ

أَوْ رُبَّمَا عَادَ مِنْهَا عَلَى مَوْعِدٍ -

شاعِرُ الجنِّ فِي مَكَّةِ

يُخْبِرُ النَّاسَ أَنَّهَا يُكْمَلَانِ الطَّرِيقَ إِلَيْهِ:

جَزَى اللهُ خَيْرًا رَفِيقَيْنِ مَرًّا عَلَى [خَيْمَتِي أُمِّ مَعْبُدٍ

هُمَا نَزَلَا بِالْبَرِّ، وَارْتَحَلَا بِهِ

وَأَفْلَحَ مَنْ أَمْسَى قَرِينَ مُحَمَّدٍ

سَلُّوا أُخْتُكُمْ عَنْ شَاتِيهَا وَإِنَائِهَا

فَإِنَّكُمْ إِنْ تَسَأَلُوا الشَّاةَ تَشْهَدُ].

شاعرُ الجنِّ يَرَحُلُ؛

- هل سيعودُ؟

- وماذا سَيُنْشِدُنَا حِينَ يَأْتِي؟

- أيبقى هُنَاكَ، وَيَحْتَارُ وَصَفَ الْمُهَاجِرِ فِي الْمَشْهَدِ؟

٩ / سُرَاقَةُ بَنِ مَالِك - مَوْنَلُوج دَاخِلِي:

أَدْرَكْتُكَ الرَّمَالُ؛ فَلَنْ تُدْرِكَهُ

عُدْتَ تَمْتَلِكُ الْجَتَّينِ،

وَصَدَّقْتَهُ فَعَنِمَتِ السَّوَارِينِ

.. «لَمْ تَخْسِرِ الْمَعْرَكَةَ».

١٠ / مسجد أُسِّس على التَّقْوَى:

في قُبَاءٍ.

هُنَاكَ هُوَ الْآنَ، فَوْقَ التُّرَابِ التَّقِيِّ
يُؤَسِّسُ مَسْجِدَهُ، وَيُذِيعُ الشَّعَائِرَ فِيهِ..
يُصَلِّي، يُصَلِّي.

الصَّحَابَةُ يَسْتَمِعُونَ خُطْبَتِهِ
- كَانَتْ الْخُطْبَةُ الْبَكْرَ -:

«يَا زَائِرِي الْأَرْضِ، ثَمَّةَ مَوْتٍ، وَبَعَثٌ مِنَ الْمَوْتِ
فَاتَّصِفُوا بِالتَّقَى،

وَأَعِدُّوا لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ حَاضِرَكُمْ»..
وَيُصَلُّونَ خَلْفَ النَّبِيِّ.

سَتَمْتَدُّ خُضْرَتُهُ الْآنَ نَحْوَ الْبِلَادِ الْبَعِيدَةِ،
نَحْوَ السَّمَاوَاتِ، نَحْوَ الْبِحَارِ.
.. بُيُوتُ الْمَدِينَةِ فِي فَرَحٍ لاقْتِرَابِ النَّبِيِّ الْأَخِيرِ،
وَنَخْلُ الْمَدِينَةِ مُحْتَفِلٌ بِالتَّجَلِّيِّ.

١١ / عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

«رُبُّنَا اللَّهُ»..

قَالَ. وَسَافَرَ فِي هَيْئَةِ الشَّمْسِ؛
أَي: وَاضِحًا، كَامِلَ النُّورِ سَارَ عُمَرُ
مَرَّ ذَاتَ نَهَارٍ عَلَى آلِهَاتِ قُرَيْشٍ
وَلَمْ يَعْلَمْ مِنْ يَوْمِهَا هُبْلٌ.
مَرَّ ذَاتَ نَهَارٍ.. جَمِيلًا بِإِيْمَانِهِ حِينَ مَرَّ.

١٢ / صهيب بن سنان رضي الله عنه:

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي نَفْسَهُ
.. تَبِعُوهُ،

وَلَكِنَّ فِي يَدِهِ بَعْضُ مَا يَعْبُدُونَ:
- خُذُوهُ، وَخَلُّوا سَبِيلِي
أَنَا لَنْ أَعُودَ

فَعُودُوا لِمَا تَعْبُدُونَ.

.. وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي نَفْسَهُ،
وَمِنَ النَّاسِ مُسْتَضَعْفُونَ
عَلَى سِجْنِهِمْ يَسْجُدُونَ.

١٣ / المُستضعفون:

« أَغْرِبُ جَدِيدٌ لِكُلِّ مَسَاءٍ جَدِيدٍ؟

.. وَجُودِي قَلِيلٌ هُنَا.. يَا أَنَا.

وَهُنَا لِكَ شَعْبٌ جَلِيلٌ

وَهُنَا لِكَ مُجْتَمَعٌ هَجَرَ السَّيِّئَاتِ، وَفَرَّ إِلَى رَبِّهِ

مُؤْمِنًا مِثْلَمَا تَتَمَنَّى الْجَنَانُ.

أَقُولُ: مَدِينَةٌ أَدْمَعِي، وَوُجُودِي قَلِيلٌ

وَقُنُوتُ الرَّسُولِ يُثَبِّتُنَا فَوْقَ أَرْضٍ تَمِيلُ».

١٤ / هجرة المستضعفين:

سائر.. وَحَدِيثُ الْمُهَاجِرِ:
« مَكِّيَّةٌ أَدْمُعِي، فَالرَّحِيلُ رَحِيلُ
سُنْحَبُ الْمَدِينَةِ مِنْ أَجْلِ خَالِقِهَا يَا أَخِي
فَمَتَى سَيَزُولُ الطَّرِيقُ؟
مَتَى يَسْتَقِرُّ الْوُصُولُ؟ »
سائر..

وَأَنَاشِيدُهُ طَيِّبَةٌ.. وَالرَّسُولُ.

١٥ / في المدينة:

في المدينة أسجدُ في رَوْضَةِ الْجَنَّةِ الواقِعِيَّةِ؛
أَجْمَعُ بَعْضَ النَّدَى
.. وَلَدَى الْحُجُرَاتِ قرأتُ السَّلَامِ عَلَيْهِ؛
فَعَادَ الْيَقِينُ عَلَى فَرَسٍ مِنْ مَدَى.
في المدينة تَرْوِي الْبَدَايَةَ مَعْنَى النِّهَايَةِ:
«كَانَتْ بِدَايَتُهُ مَسْجِدًا»
.. مَسْجِدُ الْأَنْبِيَاءِ الْأَخِيرِ:
تَعَبَّدُ بَاكٍ، وَنَقَشُ صَبُورٍ،
رِحَالُ تُشَدُّ مِنَ الْبُعْدِ، مَنْهَجُ مِسْكِ
.. وَتَرْجَمَةٌ لَارْتِقَاءِ اللَّدَى.

في المدينة تُكسّر قاعدةُ الإِعتياديِّ في الحُزنِ:
لا شيءَ يُشبهُ أحزانَهُم بعدَ فَقْدِ حياةِ النَّبيِّ
في المدينة تبتدئُ الذِّكرياتُ
ولا تنتهي قبلَ أن ينتهي الإِتِّجاهُ إلى الكوثرِ السَّبيِّ

في المدينة ها قد تشيًّا حُلُمٌ إلى وطنٍ
.. وتحول من وطنٍ لِيَمَامَهْ
في المدينة يَتَلَجُّ الأَبْيَضُ النُّورُ،
يُتَلَى الكِتَابُ مِنَ الآنَ.. حَتَّى القِيَامَهْ.

إِلَى اللَّهِ

/ ١ /

إِلَى اللَّهِ حِينَ يَكُونُ الْمَسَاءُ تَقِيًّا،

وَتَكْتَمِلُ الْعِبَرَاتُ

يَمْدُونُ أَيْدِيَهُمْ فِي خُشُوعٍ

يَفِرُّونَ مِنْهُ إِلَيْهِ

وَبَابًا فَبَابًا يَدُقُّونَ

تَطْهَرُ أَرْوَاحُهُمْ فِي الصُّعُودِ إِلَى الْكَوْثَرِ الْعَذْبِ وَالْمَغْفِرَةِ

وَتَصْفُو الْأَعَاشِقُ لِلْخَائِفِينَ:

«أَيَا رَبُّ، يَا رَبُّ، يَا رَبُّ»..

حَتَّى يَرَوْا كَوْثَرَهُ

/ ٢ /

وفي كُلِّ لَيْلٍ غَرِيبٍ: «أَيَا رَبُّ» لِلرَّاحِلِينَ إِلَى اللَّهِ
آه.. رَأَيْتُ دُمُوعَ الْمُهَاجِرِ تَوْقِظُ صَحْرَاءَ غُرْبَتِهِ
بِدَمْعَتِهِ يَتَسَامَى النَّخِيلُ. بِدَمْعَتِهِ
تَعُودُ إِلَى الْعِطْرِ رَوْعَتُهُ..
وتعودُ الْحَيَاةُ لِرَحْلَتِهِ
بِدَمْعَتِهِ

/ ٣ /

سَاءَ..
وَحُزْنَانِ يَلْتَقِيَانِ:
- أَلَمْ تَبْكِي يَوْمًا؟
- بَكَيْتُ.
- لِمَاذَا؟

- تَغَرَّبْتُ (هاجرتُ أعينِي)

- وماذا؟

- تُعَلِّمُنِي غُرْبَتِي حِينَ أَبْكِي وَأَشْكُو إِلَى اللَّهِ:

لَا أَتَمَنَّى سِوَاهُ مَا لَازِمًا

/ ٤ /

يُحِبُّونَ صَوْتَ الْمُؤَذِّنِ

.. رُغِمَ احْتِفَالِ الرَّصَاصِ بِمَوْتِ الْحَضَارَةِ

لَا بُدَّ تَشْرِيقِ مِئْدَنَةٍ فِي الرَّمَادِ

وَيَخْضَرُ فِيهَا بِلَالٌ، يُنَادِي:

«إِلَى اللَّهِ»..

تَكْبِيرَةً، وَاشْتِنَانًا..

سَتَخْضَرُ كُلُّ الْبِلَادِ

يُكَبِّرُ..

يَمْسَحُ دَمْعَةَ أُمٍّ عَلَى حَبَّةِ الْقَلْبِ:

«لَا تَتَأَلَّمْ

فَلَمْ يَنْتَهِ الْحُزْنُ بَعْدُ

أَمَامَكَ طُوفَانُ لَيْلٍ، وَخَلْفَكَ جُرْحٌ

وَعَيْنَاكَ بَرَقَ، وَزَنْدُكَ سَلَّمَ

إِلَى اللَّهِ فَاصْعَدْ»..

وَيَبْتَهِمُ الطِّفْلُ، تَبْتَهِمُ الْأُمُّ، تَهْمِسُ:

«حَبَّةَ قَلْبِي..»

وَلَا تَتَكَلَّمْ

/ ٦ /

.. وَحُزْنَانِ يَلْتَقِيَانِ:

- رَأَيْتَكَ تَهْدُمُ فِي كُلِّ يَوْمٍ صُرُوحَ النُّجُومِ
لِيَبْنِيَ الْغُبَارُ جُرُوحَكَ!

فَمَنْ سَيُنَجِّيكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟..
مَنْ سَيُمِيتُكَ حَقًّا، وَيُحْيِيكَ حَقًّا، وَيُعْطِيكَ رُوحَكَ؟
إِلَى اللَّهِ تَعْرُجُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..
لِلَّهِ فَارْفَعْ صُرُوحَكَ

/ ٧ /

﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾..

يَقْرَؤُهَا شَاعِرٌ فَيَغِيبُ قَلِيلًا
.. خَطَايَاهُ عُمُرٌ

وَتِلْكَ الْقَصَائِدُ - زُلْفَى إِلَى اللَّهِ - تَبْكِي قَلِيلًا:

أنا لست عنهم غريباً، ولا أرتدي شُبَهَةً..
فلماذا إذا أبصروني يستفهمون،
ويتخذون الطريق الطويلاً؟

/ ٨ /

شماليةً أحرُفي حين أبكي
ونجديةً إذ أحنُّ
وشاميةً حين أشتاق للياسمين
..إليها سأرجع يوماً
وألقى دمشق الغصون..

وَأَذْكُرُهَا؛

فَتَغُوصُ الْجُذُورُ خِلَالِي: «سَتَرِجِعُ»..

تَمْتَدُّ؛

أَشْتَاقُ..

تَضْرِبُ فِي الدَّمِّ، تَهْتَزُّ فِي الْقَلْبِ..

تَنْبُتُ؛

أَمْضِي مَعَ الصَّاعِدِينَ.

اختزال

- لا تُفسِّرُ رؤْيَاكَ! (نَبِّهْنِي قَارِئُ يَقِظْ)
- دُلَّنِي لِلَّذِي يَسْتَطِيعُ الْمُفَسِّرُ تَأْوِيلَهُ مِنْ رُؤْيَى الْبُلْغَاءِ!

لَيْسَ حُلْمِي إِلَّا رُمُوزًا يُفَسِّرُهَا الْحَالِمُونَ
قَدْ أَكُونُ بِتَفْسِيرِهِمْ قَمَرًا، أَوْ أَكُونُ
بَشَرًا، أَوْ أَكُونُ
خَارِجَ النَّصِّ إِذْ يَقْرَءُونَ.

أَيْقَظَتْكَ الْكِتَابَةُ بَعْدَ انكِسَارِ الرُّؤْيَى
.. لَمْ يَكُنْ صَوْتُهَا غَيْرَ إِمْرَأَةٍ تَرَكْتُ جَرَسًا فِي دَمِي.

أَيْقَظْتَنِي عَلَى حُلْمٍ فَادِحٍ
تَتَقَاطَعُ فِيهِ الْمُتَاحَاتُ بِالْمُسْتَحِيلِ.

أَوَّلُ الْحُلْمِ كَانَ كِتَابًا.

أَكْتُبُ الْحُلْمَ كَيْ لَا يَضِيعَ
.. أَوْ أَضِيعَ.

لَأُخَمِّنَ:

أَسْرُدُ أَعْمَاقَنَا حِينَ نَحْلُمُ؟
أَمْ أَنَّ أَعْمَاقَنَا هِيَ تَسْرُدُنَا؟

الرُّؤْيَى؟ أَمْ.. أَنَا؟
مَنْ يُفَلِّسُ مَنْ؟
مَنْ يُفَسِّرُ مَنْ؟

- لو تَكَلَّمَ حُلْمِي لَقَالَ كَثِيرًا مِنَ الرِّغَبَاتِ
- لو تَكَلَّمَ حُلْمُكَ لَالْتَزَمَ الصَّمْتَ فِي مَطَرِ الغَزَوَاتِ.

الحياة التي تتحدّر منك..
ستغسل أضغاث أحلامنا
يا غيومِي التي استنبتت بذرة الزّاهدين.

لا تموت رُؤى أصلها في السّماء.

الفصول تمرّ على حلمي..
تستفزّ بنفسجّه.. وتعودّ.

الْحُدُودُ خِدَاعُ الْمَكَانِ..
وَحُلُمِي عَلَى غَيْمَةٍ تَسْتَفِزُّ الْحُدُودَ.

كَيْفَ أَلْبَسُ رُؤْيَايَ شَكْلَ الطَّبِيعَةِ
وَهِيَ، كَمَا هِيَ، شَفَافَةٌ؟

كُنْتُ أَمْشِي إِلَى حُلُمِي ذَاتَ حُبٍّ
.. صَرَخْتُ، تَشَبَّثْتُ بِالرَّمْلِ
(كُنْتُ أَشَاهِدُهُمْ يَنْحَنُونَ).

كُلُّ ظِلٍّ لَهُ حُلْمٌ.

حُلْمُ الْحَرْبِ قَتْلُ الظَّالِمِ.

أَتَجَرَّدُ مِنْ حُلْمِي..
فَأَرَانِي مَيِّتًا.

- لِمَ تَحْلُمُ؟
- كَيْ أَتَحَقَّقَ.

يا رُؤاي،

النَّهَارُ سَيَجْعَلُنَا لَا نَرَاكَ سِوَى أَثَرٍ
هُوَ صُورَةٌ مَا نَقَشْتَهُ قِبَائِلُ أَحْبَابِنَا
بَيْنَ لَيْلِ الْحِصَارِ وَأَحْلَامِنَا.

حُلْمٌ رَاحِلٌ: أَمْسُنَا (هُمُ)
حُلْمٌ شَاهِدٌ: يَوْمُنَا (نَحْنُ)
حُلْمٌ غَائِبٌ: غَدُنَا (نَحْنُ، هُمْ.. وَأَنَا).

لَا أُرِيدُ لِشَخْصِي حُلْمًا رَتِيبًا قَصِيرًا
سَأُنْسَى إِذَا لَمْ تُخَبِّئْ مُخِيلَتِي دَهْشَةً خَالِدَةً.

حُلْمٌ وَاحِدٌ:
وَرْدَةٌ وَاحِدَةٌ.

لِي حُلْمٍ..
وَلِلْحُلْمِ حُلْمٌ..
وَكُلُّهُوَ أَجْسِنَا سَاجِدَةٌ.

كلانا كلانا!

إلى زهير المناور

تَنَاعُمُ جُرْحَيْنِ فِي كُلِّ هَذَا الزَّحَامِ يُؤَكِّدُنِي أَنَّ لِلْأَلَمِ
الْأَرْجَوَانِيَّ أَسْرَارَهُ فِي السَّمَاءِ
وَأَنْ يَتَشَابَهَ إِسْمَانِ فِي الْوَزْنِ وَالْحُزْنِ وَالْهَمِّ وَالْهَمْسِ:
هَذَا هُوَ الشُّعْرُ حَقَّ الْيَقِينِ!..
انْسَنِي أَيُّهَا الْعَرَبِيُّ الَّذِي عَتَقَ الشَّمْسَ فِي حَاجِبِيَّ
وَقَمَّصَنِي نَفْسَهُ؛
أَنْتَ مَنْ شَدَّنِي لِلْفَضَاءِ الْجَدِيدِ وَقَالَ: انْفَرِدِ
بِالنَّشِيدِ كَمِئْدَنَةٍ..

ثُمَّ عَادَ لَأَرْضِ الْمِنْصَةِ يَسْقِي الْبَلَاغَةَ دِفَاءَ الْجَمَالِ
الْمُكَمَّلَ بِالرَّعْشَاتِ.. لَكِي يُصْبِحَ الشَّعْرُ مِثْلَ
أَكْفِ الصُّغَارِ إِذَا ارْتَادَهَا الْبَرْدُ..

فِي غُرْبَتِي كَمْ تَسَاقَطَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ؛ وَكَانَ يُلْمِلُنِي
قَبْلَ أَنْ تَمْضِيَ الرِّيحُ بِي،
يَحْتَوِينِي بِمِعْطَفِهِ الشَّاعِرِيَّ،
يُشَارِكُ قَافِيَتِي بَيْتَهَا الْعَرَبِيَّ، يُرَتِّبُنِي مِنْ جَدِيدٍ:
إِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ أَرْخَ الشَّرَاعِ وَثِقَ بِالْقَصِيدَةِ.. لِلشَّعْرِ
يَهْطُلُ غَيْثُ الْمَعَانِي!

تَحَدَّثْتَ عَنِّي كَثِيرًا.. أَعْنِي كَثِيرًا لَكِي أَتَحَدَّثَ
عَنْكَ قَلِيلًا:

وَعَيْنُكَ تَبْتَلِجُ الدَّرَبَ.. كَانَ لَوَجْهِكَ عُمُقُ الزَّنَابِقِ
وَالسَّيْفِ..

كَمْ كَانَ قَلْبُكَ يَنْزِفُ بَيْنَ حِرَابِ الْمَغُولِ.. وَيَسْفِكُ
حَتَّى الثُّمَالَةِ جَوْهَرَهُ،

ثُمَّ يَعْلُو بِإِيقَاعِنَا لِيُوَلِّدَ فِكْرًا صَغِيرًا يُؤَكِّدُنَا
وَيَلِيْقُ بِهَذَا الْخَرَابِ

.. إِذَا اجْتَمَعُوا لِلْمَزَادِ عَلَى حَبْلِ مِشْنَقَةٍ سَوَفَ
نَمْضِي بَعِيدًا وَنَكْسِرُ أَنْفُسَنَا كَالْغُرُوبِ.

وَلَمْ نَتَغَيَّرْ؛

فَلَيْسَ لَنَا غَيْرُ رَقْصِ الْكَلَامِ، وَأَنْ نَمْزِجَ الرَّمْزَ
بِالْحَبْرِ حَتَّى نَرَانَا بِهَذَا الْوُضُوحِ!

لِهَذَا نُحِبُّ الْحُرُوفَ، نُفَجِّرُهَا دُونَ أَنْ نَخْدِشَ
السَّطْرَ،

نَحِثُ مِنْ مَوْتِنَا كُلِّ هَذَا الْجَمَالِ لِكِي لَا يَمُوتَ
الْجَمَالُ.

نَعَمْ أَيُّهَا السَّيِّدُ الْمُسْتَبَدُّ بِكُلِّ الْبَوَادِي، انْسَنَا،
وَتَبَاوَزْ بَعِيدًا؛ سَتَخْسَرُنَا إِنْ بَقِيتَ،
فَعُدْ حَيْثُ أَجْدَادُكَ الْفُصْحَاءُ يَصِيدُونَ غِزْلَانَهُمْ
بِالْقَصَائِدِ..

عُدْ لَا مِرْيَ الْقَيْسِ..
سَوْفَ تَرَاهُ يُعَدُّ الْحَصَى وَالرِّدَاءُ عَلَى رَأْسِهِ، فَاسْقِهِ
نُورَ زَمْزَمَ، وَاشْكُ إِلَيْهِ ارْتِقَابَ الْحِبَالِ لِأَصَوَاتِنَا:
- يَا امْرَأَ الْقَيْسِ، إِنَّا نُحِبُّ وَضُوحَكَ، لَكِنَّهُمْ أَشْعَلُوا
الرَّمْزَ فِينَا فَأَحْرَقْنَا الرَّمْزَ. كَيْفَ سَنُعْتِقُ مِنْ قَبْضَةِ
الْوَثْنِيِّ سَمَاوِينَا وَالْقَرِيبُ اسْتَبَاحَ سَمَاوِينَا؛ فَأُصْبِنَا بِدَاءِ
الْتَّرَدُّدِ، رُحْنَا نُهَاجِرُ حُزْنَيْنِ حُزْنَيْنِ نَحْوَ الضَّبَابِ؟
- تَأْلَمْ.. تَأْلَمْ فَأَنْتَ الَّذِي ارْتَكَبَ الشَّعْرَ!

تَسْأَلُ: «كَيْفَ لَنَا أَنْ نُغْنِي؟ وَمَاذَا تُرِيدُ الْقَصِيدَةُ مِنْكَ وَمِنِّْي؟»!

سَنَبْقَى نُغْنِي مَعًا، وَنُضِيءُ مَعًا بِسَمَةِ الْحُبِّ تِلْكَ الَّتِي كُنْتُ أَخْشَى عَلَيْهَا الزَّوَالَ.. وَلَكِنَّهَا مَا تَزَالُ.

وَمِنْ أَجْلِنا سَنُغْنِي.. أَلَا نَسْتَحِقُّ الْغِنَاءَ؟
نُغْنِي لِنَحْيَا. لِنَسْكُنَ سَجْنًا جَدِيدًا! لِيَسْتَمِيعَ النَّاسُ بِالْفَقْرِ جِدًّا وَجِدًّا!
نُغْنِي لِأَجْلِ مَا سَيَكُونُ، لِمَنْ يَرْفُضُ الصَّمْتَ،
لِلضُّعْفَاءِ وَلِلْأَقْوِيَاءِ، لِمَنْ يَمْلِكُونَ الْقُلُوبَ..
لِمَوْتِي عَلَى حَافَةِ الْوَعْدِ كَأَن تُرِيدُ قِصَائِدُنَا أَنْ نُغْنِي.

فَغَنِّ، وَقُلْ لِلرِّفَاقِ، وَقُلْ لِي؛ أُغَنَّ..

تَحَدَّثَتْ عَنْكَ وَعَنِّي..

وَكُنْتَ جَرِيحًا، وَكُنْتَ عَمِيقًا بِجُرْحِكَ. يَا...
رُغَمَ جُرْحِكَ كُنْتَ جَمِيلًا!

وَكُنْتَ أَمِيرًا.. أَمِيرًا بِكَامِلِ خُطَوَاتِهِ وَأَنَاقَتِهِ فِي انْتِقَاءِ
الْخِيَالِ الْبَدِيلِ. وَكُنْتَ أَمِيرَ التَّأَمُّلِ عِنْدَ الْمَسَاءِ.

تَشَرَّدَتْ كَي تَسْتَعِيدَ السِّيَادَةَ لِلشَّعْرِ..

لَا بُدَّ لِلشَّعْرِ أَنْ يَرْجِعَ الْآنَ؛ فَالرَّيْحُ وَالنَّارُ لَمْ يَبْقَ
إِلَّا احْتِكَائُهُمَا..

الْآنَ، وَالْآنَ بِالذَّاتِ، تَشَقُّقُ الْأَرْضِ عَمَّا أُسَمِّيهِ زَهْرًا
تَعَلَّقُهُ بِالثُّرَابِ الْمُبَاحِ يَشِي أَنَّهُ لَا يُحِبُّ الثُّرَابَ؛
سَيَكْتُبُ أَسْمَاءَنَا وَنُخَيْلَاتِنَا فِي السَّحَابِ، وَيَشْطُبُ
أَسْمَاءَهُمْ وَتَمَاثِيلَهُمْ

.. وَيُسَمِّي زُهَيْرًا.

يقول: أنا عابرٌ في الحياة.. ويتركُ صبراً مُدَّةَ عُمرين
فيها !

يُضِيءُ لِيُطْفِئَ آلامَهَا،
وَيُسَافِرُ كَي تَرْجِعَ الذِّكْرِيَّاتُ إِلَى اللَّارْحِيلِ :
تَعَلَّمْنِي ذِكْرِيَّاتِكَ أَنْ أَتَأَلَّمَ حِينَ تُعِيدُ الْمَشَاعِرُ
أَمْوَاجَهَا،

أَنْ أَكُونَ لِنَفْسِي ضِدًّا لِتَتْبَعَنِي كَالظَّلَالِ،
وَأَنْ أَجْرَحَ الْيَأْسَ كَي يَتَدَاعَى الْخَيَالُ أَمَامِي
.. وَلَوْلَاكَ كَانَتْ دِمَشْقُ خَيَالًا بِلا شَاعِرٍ عَاشِقٍ،
وَبِلا شُعَرَاءٍ؛

أَتَبْكِرُ الشُّعَرَاءَ وَتَسْأَلُهُمْ أَنْ يَكُونُوا؟!
كُنْتُكَ قَبْلَ الشِّتَاءِ. فَكُنِّي وَلَوْ فِي الرَّبِيعِ..
وَلَوْ فِي الرَّجُوعِ.

- مَسَاءٌ أَحْيَرُ، وَنَحْنُ -:

تُكْرِرُ قَوْلَكَ: نَأْتِي لِنَتْرُكَ شَيْئًا لِمَنْ بَعَدَنَا.. ثُمَّ
نَمْضِي.

وَكُنْتُ أَرَى لِحَنِينَكَ وَهُوَ يَزِيدُ، وَيَقْطَعُ بَحْرًا
فَبَحْرًا، وَلَا تَسْتَقِرُّ الْحُدُودُ بِهِ وَالْعَوَاصِمُ.

.. ثُمَّ تَنْفَسَ صُبْحٌ بِدُونِكَ:

هَـا هُوَ لَوْلُوكَ الْمُتَنَائِرُ يَدُوْ أَمَامِي طَرِيًّا كَأُورِدَةٍ
الْيَاسَمِينِ وَأَنْتَ تُجَسِّدُ شَكْلًا مِنْ الْحُلُمِ الرَّحْبِ،
تَغْمِسُنِي فِي الْعُطُورِ، وَتُرَبِّكُنِي بِاتِّزَانِ الْأَمِيرِ؛

فَلَيْتَكَ لَمْ تَرَوْ عَنْ «ضَوَائِي الْغَضِّ» شَيْئًا!

.. وَكَيْفَ؛ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ سِوَى وَمَضَةٍ أَمْتَّتِي بِهَا،
وَأُصَلِّي؟

لَقَدْ أَلِيلَ الْقَلْبُ.. كَيْفَ سَأَنْجُو إِذَا اخْتَلَفَتْ
أَرْجُلِي فَوْقَ حَدِّ الصَّرَاطِ، وَحُوصِرْتُ بِالظَّنِّ: هَلْ
وَمِضَةُ النُّورِ تَكْفِي لِتِلْكَ الْقِيَامَةِ؟!..

مُلْقَى بِقَارِعَةِ الشَّعْرِ وَحْدِي.. وَوَحْدَكَ:
- مَنْ سَنَكُونُ؟

- خِيَارَانِ:
إِمَّا أَكُونُكَ، أَوْ لَا أَكُونُ. وَمَا أَصْعَبَ الْمَوْتَ بَيْنَهُمَا
فِي الْحَيَادِ.

- لَقَدْ كُنْتُ وَحْدِي دَوْمًا.
- وَكُنْتُ. وَهَا أَنَا أَنْتَ.. فَمَنْ أَنْتَ إِنْ لَمْ تَكُنِّي؟!
- كِلَانَا: كِلَانَا!

تكوين حلم

لَا بَحْ بِسِرِّي الْآنَ..

- لِلْأَشْيَاءِ أَنْ تُصْغِيَ -

يَكُونُ الْحُلْمُ فِي عَيْنِي مُتَبَهًا..

وَقَدْ يَغْفُو لَأُوقِظَهُ وَأُوقِظَهُ بِمَا أُوتِيتُ مِنْ أَمَلٍ

وَحُزْنٍ قَدْ أَجِفُّ وَلَا يَجِفُّ

وَيَكُونُ تَكَرُّارًا لِمَا يَتَحَدَّثُ الشُّعْرَاءُ عَنْهُ،

يَكُونُ إِخْبَاتًا أَمَامَ الْحَقِّ؛ عَلَّ الْحَقَّ يَغْفُو

وَأَرَاهُ فِي التَّكْوِينِ صُوفِيًّا يُرْتِّلُ آيَةَ الْكُرْسِيِّ فِي
الْأَسْحَارِ،
بِالْأَذْكَارِ يَصْفُو
وَأَرَاهُ أَفْقًا لَا نِهَائِيَّ الْجَمَالِ..
كَأَنَّهُ فِي رَوْضَةِ الْمُخْتَارِ صَفٌّ

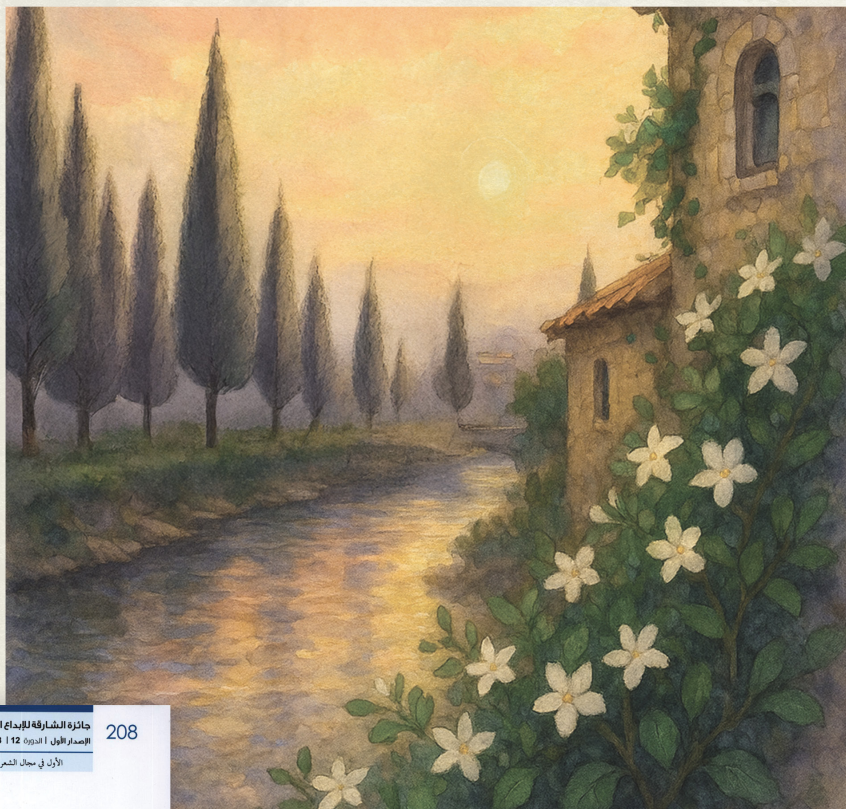
لِلغَيْثِ مَوْعِدُهُ؛
سَأَحْلُمُ بَانْتِشَاءِ الْقَمْحِ لِلطَّيْنِ الْجَدِيدِ..
أَعُودُ أَيَّامًا..
لَأَنَّ الْحُلُمَ فِي التَّشْبِيهِ صَوْتُ مُوْغِلٍ فِي غَارٍ ❀ لَا
تَحْزَنُ ❀،
وَسُمُوُّ نَفْسٍ أَمَنْتَ فِيهَا كُؤُوسُ الْخَمْرِ..
حِينَ تَطَهَّرْتَ بِيَدَيَّ أَبِي مُحَجَّنَ

لَوْ يَعْلَمُونَ بِأَيِّ بُشْرَى كُنْتُ أَحْلَمُ؟..
كُنْتُ أَحْلَمُ أَنَّنِي أُوتِيَ الضِّيَاءَ..
وَأَن أُسِيرَ مَعَ الضِّيَاءِ..
وَأَن أُحَلَّقَ فِي الضِّيَاءِ..
فَرُبَّمَا أَصْبَحْتُ نُورًا؟

سَهْرَانُ كَيِّ أَجَدَ الضِّيَاعَ..
وَكَيِّ أَزْفَ إِلَى الْجِيَاعِ عَشَاءَهُمْ،
وَالِي خِيَامِهِمْ بَخُورًا

الحُلْمُ لِي: وَطَنُ الْقَصِيدَةِ، مَشْرِقُ الْكَلِمَاتِ..
فِي الْأَعْتَابِ تِلْكَ الْحُبُّ يَغْفُو
.. يَغْفُو صَغِيرًا
يَغْفُو فَقِيرًا

لَا بَحْ بِسِرِّي..
الآن صارَ الحُلْمُ فِي شَفَتِي مُكْتَمِلًا كَمَوَالٍ..
وَفِي كَفِّي - غَدًا - سَيَكُونُ دُفُّ
دُفٍّ.. وَزَحْفٌ.



جائزة المشاركة للإبداع العربي
الصدار الأول | الدورة 12 | 2008
الأول في مجال الشعر

208

تكوين حلم



صهيب محمد خير يوسف

